وزارة الثقافة

المترافعون

تأليف: توفيق أبو العسل

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

المُتَرَافِعُونَ

وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة الموروث الثقافي

اسم المؤلف: توفيق أبو العسل

اسم الكتاب: المترافعون

الطبعة الأولى: ١٩٣٧

الطبعة الثانية: ٢٠٢١

الإشراف العام: عبد السلام عطاري

مراجعة وتدقيق: رشيد عناية ونور عرفات

تصميم وإخراج فني: فاطمة حسين

لوحة الغلاف للفنانة: نهيل بشارة

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين

www.moc.pna.ps

المترافعون

رواية هزلية تمثيلية في فصل واحد

عنيت بنشرها

مكتبة بيت المقدس

الحقوق كلها محفوظة

١٩٣٧

المطبعة العصرية * القدس

المُتَرَافِعُونَ

المشهد الأوَّل

عتاب (واقفا أمام مقدمة المسرح)

لا يا سيدي هو الآخر.

الرئيس

وأي آخر؟

عتاب

هو الآخر، خصمي ...

الرئيس (بحدة)

ما اسمك؟

عتاب

أنا اسمي عتاب.

الرئيس

وأبو فروة، أين هو؟

أبو فروة

(يظل حتى هذا الوقت في القاعة بين النظارة يأكل ... يقف عندما يسأل عنه الرئيس ويضع طعامه في سلة معه ويحملها)

أبو فروة، ها هو.

الرئيس

ينبغي أن تجيب عندما أناديك

أبو فروة

(يسير إلى جهة المسرح وفمه ملآن)

اعذرني يا حضرة ...

الرئيس

لا تتكلم وفمك ملآن

أبو فروة

الساعة وقت غدائي.

الرئيس

تقدما أنتما الاثنان.

(أبو فروة وعتاب يصعدان إلى المسرح. ويقف أبو فروة في الجهة اليسرى، وعتاب في الجهة اليمنى)

الرئيس (مخاطبًا أبا فروة)

هل أنت عتاب؟

أبو فروة

لا يا سيدي هو الآخر.

الرئيس

أنت إذن أبو فروة؟

أبو فروة

طبعًا ما دام أن الآخر يدعى عتابا.

الرئيس (مخاطبًا أبا فروة)

ماذا تريد؟

أبو فروة

أريد أن أربي هذا الحيوان الذي عطل عليَّ زواجي.

الرئيس

كن أديبًا تجاه خصمك.

عتاب

أحسنت يا حضرة الرئيس (مشيراً إلى أبي فروة)

فإن هذا الثور ...

الرئيس

اخرس واحفظ لسانك، ولا تنس أنك في المحكمة.

عتاب

نعم يا سيدي.

الرئيس

إِنك إذن، يا أبا فروة، تطالب خصمك عتابًا بمبلغ عشرين جنيهًا تعويضًا؛ لأنه كان سبب تعطيل زواجك.

أبو فروة

(يهدد عتابًا بقبضته)

آه يا ملعون!

الرئيس

(يضرب المنضدة بقبضته)

اخرس! ولا تنسَ جلالَ المكان الذي أنت فيه.

أبو فروة

نعم يا سيدي، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هذا الحيوان ...

الرئيس

قلتُ لك اخرس! ... وإنك تطالبه، عدا ذلك، بمبلغ مئة مل، دفعتَه أجرة طبيب بيطري، داوى حنك السيدة فرحات التي كانت مزمعة أن تصبح حماتك.

أبو فروة

ولو كان الذي داوى فكها طبيب أسنان، وليس طبيبَا بيطريًا، لكانت النفقة أعظم، ولكن الخنزيرة لا تستحق أكثر من ذلك! ... ولو رأيت، يا سيدي، وجهها الشنيع ...

الرئيس

لا أحتاج أن تبديَ رأيك ... اجلسا أنتما الاثنان واسمعا قراءَة الاستنتاجات ...

الرئيس (يقرأ)

في اليوم الخامس من شهر آب الماضي، دعا السيد أبو فروة، بمناسبة عقد خطبته على الآنسة فرحات، أنسباءَه وأصدقاءه وأهل خِطبِه إلى وليمة فاخرة. وكان السيد عتاب الطباخ قد وُكِّلَ إليه إعدادُ الطعام. وكان المدعوون في الساعة السابعة مساءً جالسين إلى المائدة. وبعد أن قُدِّمت ألوانُ الطعام، قدم السيد عتاب سرطانًا فاخرًا.

ولما انحنى أبو فروة على السرطان ليقطّعه قبض السرطان بفكَّيْهِ المخيفَين على أنف أبي فروة ...

الرئيس (يخاطب عتابًا)

وهل كان السرطان حيًّا؟

عتاب

نعم يا حضرة الرئيس، فإنه طلب مني سرطانًا طازَجًا للغاية.

الرئيس يواصل القراءة:

وعندئذ ارتد أبو فروة إلى الوراء، فسقط على ركبَتيّ جاره السيد خضر، فاحتد هذا وصفع أبا فروة، فقابل أبو فروة صفعة جاره بضربة من قبضته، ولكنه أخطأ الوجهة، فوقعت الضربة على حنكِ السيدة فرحات التي كانت مزمعة أن تصبحَ حماته.

(يخاطب أبا فروة)

أصحيح أن السيد خضر قد صفعك؟

أبو فروة

نعم على خدي هذا؟

(يضع يده على خده)

الرئيس

ولما أردت أن تقابل صفعته بضربة من قبضتك كسرت حنك حماتك؟

أبو فروة

نعم بضربة واحدة.

الرئيس

اجلس

يقرأ:

وعلى أثر هذا الحادث المؤلم رفضت السيدة فرحات وابنتها الموافقة على عقد الزواج.

إلى جهة

طبعًا

يقرأ:

فالمرجو من المحكمة الموقرة أن تحكم على عتاب أن يدفع لأبي فروة مبلغ عشرين جنيهًا عطلًا وضررًا، ومبلغ مئة مل لمداواة حنك السيدة فرحات، ويكون هذا عدلًا.

يخاطب عتابا فينهض هذا واقفًا

إِن الأمر جلي واضح، فإن أبا فروة يزعم أنَك السبب الرئيسي في تعطيل زواجه. فما تقول دفاعًا عن نفسك؟

عتاب

أقول إِنه كان سرطانًا من النوع الذي لا فكَّيْن له.

الرئيس (يرفع صوته)

أسألك ماذا تقول دفاعًا عن نفسك؟

عتاب

قد فهمت جيدًا وأجيبك أنه كان سرطانًا من النوع الذي لا فكين له.

الرئيس

إذا كان هذا جوابك فإنه لا ينفعك

عتاب

إِنك مخطئ ومحاميّ سيبرهن لك أن في هذا الإِقناع الكافي.

الرئيس

سنرى

عتاب

ما الفائدة من دفع أُجرة المحامي إذا كنت أقول كل شيء أنا نفسي:

الرئيس (وقد نفذ صبره)

نعم نعم لقد فهمت ... ألك شهود؟

عتاب

نعم يا سيدي لي شاهد واحد.

الرئيس

وأنت يا أبا فروة ألك شاهد؟

أبو فروة (ناهضًا)

نعم شاهدي السرطان

ضحك عام

الرئيس

أنذرك أني لا أصبر على استهزائك بالمحكمة

أبو فروة (دهشًا)

إِني لا أستهزئ. سألتني إذا كان لديَّ شاهد فأجبتك نعم شاهدي السرطان. السيد سرطان.

الرئيس

أشاهدك يدعى السرطان؟

السرطان ينهض من القاعة ويتجه بسرعة إلى المسرح

أبو فروة

نعم سعيد السرطان ... أليس هذا من غريب الاتفاق؟

الرئيس

اجلس يا أبا فروة ... إِني أُريد أن أستجوب السيد سرطان

أبو فروة يجلس

المشهدُ الثَّاني

أشخاص المشهد السابق. السرطان

السرطان يصعد إلى المسرح ويظل واقفا في وسط المحكمة

الرئيس (مخاطبًا السرطان)

ما اسمك؟

السرطان

يذهب ويجلس إلى جانب أبي فروة

أشكرك يا سيدي

الرئيس

لم أقل لك أن تجلس بل سألتك ما اسمك؟

السرطان

ينهض ولا يترك مكانه

حداد.

الرئيس (إلى جهة)

حداد؟!

المدعي العام (مخاطبًا الرئيس)

الظاهر أن الشاهد أطرش

الرئيس (مخاطبًا المدعي العام)

كنت عازمًا أن أقول ذلك.

مخاطبا السرطان

أنت إِذن أطرش.

السرطان لا يجيب

أبو فروة مخاطبًا الرئيس

عندما لا توجه إليه الكلام يسمع. وعندما تخاطبه فكأنه الصنم يا حضرة الرئيس.

الرئيس

سنرى.

يصيح مخاطبًا السرطان

قل لي ما اسمك؟

السرطان

نعم يا سيدي إِني أرمل.

الرئيس

ما عمرك؟

السرطان لا يجيب

الرئيس (صائحًا)

ما عمرك؟

السرطان

نعم نعم ... أربعَ عشرة سنة وثلاثة أشهر

الرئيس

ماذا تقول؟ أنت عمرك أربعَ عشرةَ سنة فقط؟!

أبو فروة

هذا عمر بنته يا حضرة الرئيس

الرئيس (صائحًا)

في أي سنة ولدت؟

السرطان

أنا؟ ... عمري أربع وأربعون إلى خمسٍ وأربعين سنة.

الرئيس

ليكن خمسًا وأربعين ... قل لي الآن، هل كنت حاضرًا المأدبة في اليوم الخامس من شهر آب الماضي؟

السرطان

نعم يا سيدي. امرأتي كانت هناك.

الرئيس

ولكنك قلت الآن إنك أرمل

أبو فروة

نعم يا حضرة الرئيس، قبل موت امرأته.

الرئيس

إنه إذن كان أرمل قبل أن يفقد امرأته.

أبو فروة

لأنه تزوج غيرها.

الرئيس

ولكنه قال إنه أرمل

أبو فروة

أرمل من امرأته الأولى

الرئيس

إنه إذن متزوج

يصيح مخاطبًا السرطان

أنت متزوج؟

السرطان

نعم يا سيدي أنا أرمل

أبو فروة

لأن امرأته الثانية قد ماتت

الرئيس (مخاطبًا أبا فروة)

ولماذا قلت لي إنه متزوج؟

أبو فروة

لأنه تزوج امرأة ثالثة

الرئيس (يضرب المنضدة بقبضته)

إِنه متزوج إذا وانتهى الأمر

أبو فروة

لا يا حضرة الرئيس لأن امرأته الثالثة...

الرئيس (ثائرًا)

اجلس ... أتريد أن تجنِّنَ المحكمة؟

أبو فروة يجلس

الرئيس (مخاطبًا السرطان)

قل لي كم مرة تزوجت؟

السرطان

سبعة

الرئيس

أنت تزوجت سبع مرات؟

أبو فروة

يريد أن يقول إِن له سبعة أولاد

الرئيس

هذا شيء آخر. قل لي ماذا تعرف عن المسألة؟

السرطان

كان لأبي فروة ستة أولاد. وقد تزوج أكبرهم منذ سنتين

الرئيس

هذا لا يهمنا، تكلم عن وليمة آب.

السرطان

وابنه الأصغر هو ولا شك أذكاهم ...

الرئيس

لا يهمنا كل هذا تكلم (صائحًا) عن وليمة آب.

السرطان

وأصغر بناته قد اعتنى أبوها بتربيتها.

الرئيس (وقد نفد صبره)

دع كل هذا. قل لي هل كان السرطان من ذوات الفكين؟

السرطان (متابعًا كلامه)

إِن أصغر بناته ...

الرئيس (صائحًا)

لا... لا... نريد الحيوان الذي كان سبب الحادث

السرطان

لم ترضَ أن تتزوج.

الرئيس (وقد نفد صبره)

اجلس.

(يبقى السرطان واقفًا)

أقول لك اجلس.

السرطان (يبقى واقفًا)

نعم إنها رفضت أن تتزوج.

الرئيس (يصيح ويشير إليه أن يجلس)

قلت لك اجلس.

السرطان (جالسًا)

كما تريد

عتاب (يقف)

عفواً يا حضرة الرئيس، أرجوك أن تسأل الشاهد سؤالًا واحدًا

الرئيس

ما هو هذا السؤال؟

عتاب

أرجوك أن تسأله عن الحالة التي كان عليها حنك السيدة فرحات قبل وقوع الحادث؟

الرئيس

لا حاجة إلى هذا السؤال، فالمطلوب أن نعرف هل كان لذلك السرطان فكَّان أم لا.

عتاب يجلس

السرطان (ناهضًا)

حاضر.

الرئيس (مخاطبًا السرطان)

إنك تسمع الآن.

أبو فروة (ناهضًا)

قلت لك إنه يسمع عندما لا تخاطبه

يجلس

السرطان (واقفًا)

حاضر

الرئيس (صائحًا)

اجلس ... قد طالت مشاهدتنا لك

السرطان يجلس

عليك يا أبا فروة أن تختار مرة أخرى شاهدًا لا يكون اسمه مشابهًا لاسم مُسببِ الحادث، ولا يكون مصابًا بصَممٍ متقطِّع.

عتاب (ناهضًا)

أرجوك مرة أخرى يا حضرة الرئيس أن تسأل الشاهد عن حنك السيدة فرحات.

الرئيس

لا بأس.

(مخاطبًا السرطان)

أتعرف في أي حالة كان حنك السيدة فرحات قبل الوليمة؟

(السرطان لا يتحرك فيصيح الرئيس)

هذه المرة أخاطبك.

عتاب يجلس

السرطان (ناهضًا)

إني حداد يا حضرة الرئيس.

الرئيس (ثائراً مشيراً إلى السرطان أن يجلس)

اجلس.

السرطان يجلس

لا فائدة من إنهاء الاستجواب

يخاطب أبا فروة

سنسمع محاميك يا أبا فروة.

عتاب (يقف ويخاطب الرئيس)

وبعد أمرك يا حضرة الرئيس وشاهدي أنا؟

الرئيس

أهو مصاب بصمم متقطع؟

عتاب

لا. لا. هو السيد جاد؟

الحاجب (ينادي في القاعة)

السيد جاد!

جاد

ينهض من القاعة ويدنو من المسرح

ها أنا يا سيدي.

المشهد الثالث

أشخاص المشهد السابق. جاد

الرئيس

اصعد يا سيد جاد .. وقل لنا ما اسمك؟

جاد (لاكنًا)

يا ... يا ...يا ... يا ...

(بشدة)

يا ... يا ... يا ...

الرئيس (مخاطبًا المدعي العام)

ماذا جرى له؟

جاد

يا ... يا... يا ...

الرئيس (ينهض ويشير إليه مهدئًا)

استرح... استرح ...

جاد

يا ... يا... يا ...

الرئيس يجلس

المدعي العام (مخاطبًا جادًا)

هدِّئْ نفسك

ينهض ويقدم له كأس ماء

اشرب قليلًا من الماء البارد

المدعي العام يجلس

الرئيس

(يخرج من جيبه منديلًا كبيراً ويمسح جبهته، ويمسح خطأ جبهة المدعي العام .. ويقول مخاطبًا المدعي العام :)

ما العمل لتهدئته؟

جاد

يا ... يا... يا ... حض... حض... رة... رة ...رة الحاكم

يتنفس الكل تنفس الارتياح

الرئيس (يمسح وجهه ويخاطب جاد)

إِنك أسلت منا العرق.

المدعي العام

أظن أن الشاهد ألكَن.

الرئيس

كنت عازمًا أن أقول ذلك

مخاطبًا جاد

ألستَ أَلْكَن؟

(جاد محتدًا)

أنا ... أنا ... أل ... أل ... أل ...

الرئيس

أعوذ بالله

جاد (يزداد حدة)

أنا أل... أنا... أنا أل...

الرئيس

لا! لا! لستَ ألكن ...لا تغضب.

جاد

أنا أل... أنا أل...أل ...أل ...

المدعي العام يجلس

الرئيس

فهمنا! فهمنا! أنت لستَ ألكن.

عتاب (واقفًا)

يا حضرة الرئيس، إِنه ليس ألكنَ في العادة، ولكن ذلك يصيبه عندما يتكلم أمام الجمهور.

الرئيس (ساخرًا)

فهمنا! فهمنا! إِنه ليس ألكن في العادة ... وهو من جنس السرطان ... شكرًا لك.

السرطان (ناهضًا)

حاضر يا سيدي

الرئيس

عندما لا نحتاج إليه يُسمعنا صوته.

يصيح مخاطبًا السرطان

اجلس...

السرطان يجلس

الرئيس

أين وصلنا يا جاد؟

يخاطب المدعي العام

ما العمل لاستجوابه؟

يخاطب جادًا

ماذا تعرف عن وليمة آب؟

جاد

تريد أن أُعْ... أُعْ...أُعْ...أُعْ...

المدعي العام

يا لَلمصيبة! .. بعد أل ...أل ... جاءَت أُع... أُع...

جاد

تريد أن أُع... أُع...أُع...

الرئيس

لا نريد أن نع... نع... نع... رف شيئًا. اجلس.

جاد

تريد أن أعلمكم عن المأ... مأ ... مأ...

الرئيس

(ينهض ويشير إليه بيده أن يجلس)

لا نريد أن نعرف شيئًا عن المأ... مأ ... مأ... اجلس

جاد يجلس

المدعي العام

يظهر لي يا حضرة الرئيس أن المسألة قد ازدادت تعقدًا.

الرئيس

كنت عازمًا أن أقول ذلك. وليس من وسيلة لإيضاح القضية سوى الاستماع إلى ما يقوله المحامي

يخاطب أبا فروة

أين محاميك؟ ألك محامٍ؟

أبو فروة

نعم يا حضرة الرئيس، هو الأستاذ هدار.

الرئيس

الأستاذ هدّار! ... صاحب الفمِ الذهبيّ!

المشهد الرابع

أشخاص المشهد السابق. المحامي

هدار المحامي

(يدخل راكضًا من الجهة اليمنى، وتحت إبطه محفظة ملأى من الأوراق. يخاطب المحكمة لاهثًا)

ها أنا يا سادة ... إِن الأعمال في هذه الأيام كثيرة جدًّا حتى صرت لا أدري أين أضعُ لساني.

يلهث المحامي من التعب.

الرئيس

هدّئ نفسك يا حضرة الأستاذ.

المحامي

يقف أمام المكتب المعد له في الجهة اليسرى أمام المحكمة قليلًا ويخرج من محفظته ملفًا كبيراً وينشره أمامه

سادتي! إِن المسألة بسيطة يمكن إِجمالها بكلمتين: أكان الحيوان مصاباً بداء الكَلَب أم لا؟

ينظر أعضاء المحكمة بعضهم إلى بعض بدهش

فلنفرض أنه كان مصاباً بهذا الداء ...

المدعي العام (مخاطبًا المحامي)

هل تظن يا حضرة الأستاذ أن الحيوان كان مصاباً بداءِ الكَلَب؟

المحامي

لا أظن وحسب، بل أنا على يقين تام.

أبو فروة

(يدنو من المحكمة مظهراً الدهش)

ماذا يقول؟! السرطان كان مصاباً بداء الكلب!

عتاب (ينهض)

هذا كذب.

عتاب يجلس

الرئيس (يخاطب أبا فروة)

اسكت يا أبا فروة. ولا تدنُ من المحكمة لئلاّ تعضنا

(يذهب أبو فروة ليجلس مظهراً القلق)

المحامي

إذا شاءت المحكمة أن تعيرني انتباهها قليلًا فإني أقدم لها البرهان على ما أقول ... والكلب إمَّا أن يكون وراثيًا وإما أن يكون عَرَضيّا. فإذا فرضنا أنه وراثيّ فينبغي البحث عن سبب الحادث. والحيوان إمّا أنه كان مكمومًا وإمّا أنه لم يكن .. ولنفرض أنه كان مكمومًا ..

عتاب (يقف ويخاطب الرئيس)

هل رأيت يا حضرة الرئيس في حياتك سرطانًا مكمومًا؟

الرئيس (يخاطب عتابًا)

لا تقطع الكلام.

عتاب يجلس

المحامي

لنفترض أنه كان مكمومًا، وعندئذ ينبغي أن نبحث مع أبوقراط عن أنواع نشوء الكلب ... وقبل أن أقرأ لكم هذا المجلَّد ...

(يخرج كتابًا ضخمًا من محفظته ويريه المحكمة. وعند لفظ المحامي كلمة مجلد يبدي المدعي العام أمارات التبرم ويستعد للنوم[1])

... فلنحوّل أنظارنا قليلًا إلى الضحيَّة وأريدُ بها السيدة نعيمة.

المدعي العام (يخاطب المحامي)

السيدة نعيمة؟! ما هذا؟

يخاطب الرئيس:

أظنُ يا حضرة الرئيس أن القضية تزداد تعقُّدًا.

---

[1] عند نومِ الرّئيس والمدَّعي العام يسند كلّ منهما رأسه إلى المكتب الذي أمامه.

الرئيس (يخاطب المدعي العام)

كنت عازمًا أن أقول ذلك

يخاطب المحامي

أي شأن للسيدة نعيمة في وليمة آب؟

المحامي (دهشًا)

وليمة آب؟!

الرئيس

نعم حادث السرطان؟

السرطان (واقفًا)

حاضر يا سيدي

الرئيس

قبّحك الله!

يصيح مخاطبًا السرطان

أمنعك أن تتكلم منعًا باتًا، اجلس

السرطان يجلس

المحامي (مخاطبًا الرئيس)

وليمة آب؟!

الرئيس

نعم قضية أبي فروة

المحامي

قضية أبي فروة؟!

(متذكرًا)

ها! ها! صحيح! اعذرني يا حضرة الرئيس، قد غلطتُ وأخرجت مِلَفًا آخر ... المسألة بسيطة...

يعيد الملف إلى محفظته ويخرج غيره. المدعي العام ينام

أبو فروة (إلى جهة)

المسألة بسيطة! يُميتني الأبله من الخوف بقوله إِن الحيوان مصاب بمرض الكَلَب، ويزعم أن المسألة بسيطة.

المحامي (بلطف زائد)

أعرّج يمنةً، وأسير في الشارعِ المزدان بالأزهار، المؤَدي إِلى وليمة آب ... هناك لو نظرنا خِلسةً إِلى وجوهِ المدعوّين لميزنا من بينها وجهين كأنهما نجمان من نجوم السماء ...

الرئيس ينام

... يشرقان بنور الفرح بالحاضر والأمل الباسم في المستقبَل، وأحد هذين الوجهين هو وجه أبي فروة...

المدعي العام (يفيق من نومه)

في أيَّ سنةٍ ماتت السيدة نعيمة؟

المحامي (بلطف)

نحن في قضية أبي فروة يا حضرة المدعي العام.

المدعي العام

ها! ها! قضية أبي فروة، شكرًا لك.

يعود إلى النوم

المحامي

ولا شك أنكم أدركتم أن الوجه الثاني كان وجه الآنسة وردة فرحات، وكلا الخطيبين في ريعان العمر مفعم قلبه أملًا ... هاكم أبا فروة، فإن هيأته الباسمة تتجلّى فيها الصراحة والوداعة ... وأما وردة فإِني يا ساداتي أُحسُّ بقلبي ينقبض لدى وصف هذه الفتاة التي اختارها موكّلي من بين فَتَياتٍ كثيرات لتكون شريكة حياته ...

أبو فروة يتأوه عاليًا، فيفيق الرئيس والمدعي العام مذعورين

الرئيس (بحدة)

يا حاجب... أخرج الكلاب ...

يرى أن أبا فروة هو الذي يتأوه

هذا أنت؟! أمرٌ عجيب! أين تعلمت أن تتأوّه وتنتحب على هذا الوجه؟ ماذا أصابك؟

أبو فروة (منتحبًا)

إِنه يتكلم عن خطيبتي السابقة.

الرئيس

هيا وهدِّئ روعك! ... هل تراني أنتحبَ أنا؟!

أبو فروة

لا ولكنك لو كنت مكاني ...

الرئيس

ينبغي أن تتجلَّد وتتشجَّع.

يخاطب المحامي:

تكلم يا حضرة الأستاذ

المحامي (بتأثر شديد)

وكالوردة النامية التي تُعرَّض في صباح يوم جميل من أيام الربيع أوراقها المكلّلة بالندى لشمس الفجر...

(يتأثر الرئيس ويمسح عينيه بمنديله فيفعل الكل فعله)

... هكذا هذه الزهرة، زهرةُ الجمال والبرارة التي تُدعى وردة فرحات كانت معرّضة لمصابيح المأدبة جبهتها الفاتنة، جبهة فتاة في العشرين من عمرها، تعلوها روضة من الشعر الأشقر ...

أبو فروة (منتحبًا)

من الشعر الأسود.

الرئيس (يخاطب المحامي)

من الشعر الأشقر أم الأسود يا حضرة الأُستاذ؟

المحامي

لم أرَه يا حضرة الرئيس غير أني رأيت الأشقر أفضل لوصفي

الرئيس

الحق معك ... ولكن لا تنسَ أن المهم في هذه القضية هو السرطان.

السرطان (واقفًا)

حاضر

الرئيس (صائحًا)

اخرس

السرطان يجلس

المحامي

أصلُ في طريق العرس المفروشة بالأزهار إلى فاجعة آب العظيمة.

(بلهجة تمثيلية جدية)

كان الزواج على وشكِ أن يُعقَد، ورأى أبو فروة نفسه مُقَدمًا أبًا لعائلةِ كبيرة من أولادِ وأحفادِ وأولاد أحفاد ...

(يتوقف متأثرًا ... الكل يمخط)

... وعلى حين غِرّة انقضى كلُّ شيء وتلاشت الأحلام وعكر صفو الوليمة حادث فظيع لم يسبق له نظير في تاريخ العالم ...

(يصيح بحدة)

تلاشى الزواج! ... تلاشت الزوجة! ... تلاشى الأولاد وتلاشى الأحفاد! ...

المدعي العام (إلى جهة)

هذا مفهوم!

المحامي

فإن سرطانًا قتالًا قد انقضَّ بفكيّهِ المخيفين على أنف موكِّلي المسكين! ...

(سكوت ثم يقول بلهجة الواثق)

لا أزيد كلمة يا أسيادي، ولا شك أنكم أصبحتم على بيّنة من الحقيقة، وأنكم لا تتردَّدون في الحكم على عتاب بأن يدفع لأبي فروة المبلغ الذي يطالب به بتمامه ضررًا وتعويضًا.

(يجلس تَعِبًا ويمسح عرقه بمنديله)

أبو فروة (ناهضًا)

أرجو أن تكون الحقيقة قد اتضحت لكم.

الرئيس

الظاهر أنك تريد أن أطردك ... اجلس ... ينبغي الآن أن نسمع محامي الخصم.

(يخاطب عتابًا)

أين محاميك؟

عتاب

(يشير إلى المحامي هدار الذي يمسح جبهته بمنديله)

ها هو يا حضرة الرئيس.

الرئيس

كيف ذلك؟ أهو محاميك أيضًا؟

المحامي (واقفًا)

نعم يا حضرة الرئيس هذا نوع من الاقتصاد؛ لأني أخفِّض الرسوم عندما أرافع في القضية الواحدة عن المتخاصمين جميعًا.

الرئيس

لا بأس في ذلك ... يا محامي عتاب لك الكلام.

المحامي

(ينتقل بمكتبه إلى الجهة اليمنى، ويفعل ما فعله في مرافعته الأولى وينشر أمامه ملف عتاب ويقول:

سادتي! بعد الدفاع الباهر الذي سمعناه الآن أقف متأثراً للدفاع عن عتاب المسكين. ولست في حاجة أن أصفه لكم، فها هو أمامكم، فانظروا اليه.

(الرئيس والمدعي العام ينامان ... المحامي يشير إلى عتاب)

إن وجهه يتجلى فيه الصراحة والصدق، وعينيه تنمان على الذكاء وشفتيه اللتين لا يفارقهما الابتسام، لم تعرفا الكذب.

يهمس في أذن عتاب

ابتسم! ...

يخاطب المحكمة

كل هذا يدلُّ على ضمير طاهر نقي، وعلى حياة هادئة لا عيب فيها.

ينتعش في كلامه

ويزعمون مع ذلك، يا سادتي، أن هذا الرجل قد عوَّل على قتل أحد عُمَلائه! ... إِني أقرأ في وجوهكم النضرة إِنكار هذا الزعم. وأغتنم الفرصة لأنتقل معكم إلى المكان الذي أُعدَّت فيه الوليمة. فَأي منظر يبدو لأنظارنا؟ نرى في الجهة الواحدة عتاباً راكضًا من المائدة إلى المطبخ ومن المطبخ إلى المائدة. وماذا نرى في الجهة الأخرى؟ ...

(بلهجة اشمئزازٍ شديد)

نرى جماعة من الجشعين الشرهين يأكلون، أو بالأولى يفترسون كما تفترس الوحوش الكاسرة.

أبو فروة

ينهض ويخاطب المحامي

لا يحق لك أن تُهين الناس

(الرئيس يخاطب أبا فروة)

ليس الكلام لك؟

أبو فروة يجلس

المحامي

وبين هؤلاء الأكَّالين المباطين يمتاز بنهمه كلٌّ من الخطيبة والخطيبة وأبو الخطيب وأمّ الخطيبة.

(بلهجة ازدراء)

هذا هو العرس! عرس أبي فروة!

يشير إلى أبي فروة

وأما أبو فروة فها هو. هاكم هذا الوجه الكالح المرائي الدّال على نفس خبيثة شريرة ...

أبو فروة يبدي إشارات الاحتجاج

وأما خطيبته الفتاة فلست أدري كيف أصفها لكم؟

باشمئزاز شديد

... فإذا كنتم قد زرتم قبائل إِفريقية الغربية المتوحشة، وإِذا كنتم قد رأيتم هناك خلائقَ صفراء الوجوه، لها عيون جاحظة، وأنوف فطساء، وشفاه غليظة كأنها

مشافر الجمال، وآذان كآذان الفِيلَة، وشعر متلبِّد كشعر الخنازير... إِذا كنتم قد رأيتم ذلك، تستطيعون أن تتصوَّروا أمامكم الآنسة وردة فرحات...

أبو فروة يبدي الاحتجاج

الرئيس (مخاطبًا المحامي)

ولكنك شبهتها قبلًا بالزهرة الصغيرة الجميلة، معرضة أوراقها لشمس الفجر ... وتشبهها الآن بالخنازير...

المحامي (بدهاء)

قد تغير المشهد يا حضرة الرئيس وتغيّرت معه الزينة، وتغيّر الوصف.

الرئيس

هذا صحيح! سر في قولك.

المحامي

هذه هي الزوجة التي اختارها هذا الغبي الأعمى ...

(يشير إلى أبي فروة، ثم يغير لهجته)

لماذا أُطيل ضبط انتباهكم يا سادتي. إنكم ولا شك تسلّمون معي الآن أن الحيوان الذي قبض بفكيه على أنف أبي فروة قد خدمه أجل خدمة أدّاها حيوانٌ للبشرية المتألمة! ... ولا ريب عندي أنكم ترفضون ما طلبه أبو فروة لقاء العطل والضرر وتحكمون عليه أن يدفع إلى المحسنِ إليه مبلغ خمسين جنيهًا إِقرارًا بالجميل ...

الرئيس

المحكمة تتذاكر

(يخرج أعضاء المحكمة ويبقى الآخرون. كل منهم يبدي للآخر أمارات العداوة والازدراء ويهدد بقبضته ورأسه. والمحامي يشير عليهم بالصمت. ولا يلبث الرئيس والمدعي العام أن يدخلا وجلسا، فينهض لهما الحاضرون احترامًا)

الرئيس

بعد المذاكرة تُقرر المحكمة ما يلي:

(يقف المحامي ليسمع قرار المحكمة)

لما كان قد اتضح من التحقيق والمرافعة أن عتابًا هو المسبب غير الاختياري والمسؤول مع ذلك عن إبطال عقد الزواج بين أبي فروة والآنسة وردة فرحات،

فالمحكمة تحكم على عتاب أن يدفع إلى أبي فروة مبلغ عشرين جنيهًا ومئة مل وتحكم على أبي فروة أن يدفع نفقات المحاكمة البالغة ثلاثين جنيهًا.

أبو فروة (ينهض ويقول للرئيس)

ثلاثون جنيهًا نفقات محاكمة ... لو كنت أعلم بالنتيجة لبقيت في بيتي.

عتاب (يقف ويخاطب الرئيس)

أهذا هو العدل عندكم؟

الرئيس (يخاطب المتخاصمين)

اذكرا حكاية الهرّتَيْنِ وجُبنتهما مع القرد، وإذا وقع بينكما خصام مرة أخرى فافصلا في الأمر بينكما فذلك لكما أسلم. وأما الآن فقد انتهت المحاكمة.

يُسدَلُ السِّتار

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان